مُصْحَفُ أَمِيرِالْمؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام
(بَيْنَ الْمُنْزَلِ وَالْمُفَسَّرِ)

(الجزء الثاني)

سماحة العلامة السيد علي الشهرستاني

مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث

فحوى البحث

بحث ننشره مجزءً، يعرض لدراسة نسخة المصحف الكريم الخطية المنسوبة للامام علي عليه السلام والمحفوظة في خزانة نفائس العتبة العلوية المطهرة.

والروايات الدالة على صحة وجودها ونسبتها، جاءت بها مصادر علماء الجمهور فضلا عن علماء الشيعة الامامية. وقد يقول بعض علماء أهل الحديث والسنة بضعف تلك الروايات أو بالحمل على الجمع في السطور لا الكتابة أو تخريجات أخرى يناقشها السيد الباحث وهو المتخصص المحقق الذي لم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها بروح علمية بعيدة عن التعصب والهوى.

مدى وثاقة النسخ المنسوبة الى الامام علي عليه السلام في مكتبات العالم:

الإمام عليّ عليه السلام كاتب القرآن:

بَدْءاً لابدّ من ذكر الاتفاق على أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان من المدوِّنين والكتبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كتبه من فيه صلى الله عليه وآله بيده[1]، وقد كانت له صحيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله[2] طولها سبعون ذراعاً بخطّه وإملاء رسول الله[3]، ومعناه: أنّ الإمام كان لا يترك كلَّ ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، بل يكتب كلَّ ما نزل عليه صلى الله عليه وآله بخطه.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أمرعلياً أن يدوّن ما يقوله، وقال له: أُكتب ما أُملي عليك.

فقال علي عليه السلام: يا نبي الله أَوَ تخاف النسيان؟!.

(١) الكافي ٧: ١١٣/ ح ٥.
(٢) الكافي ٧: ٣٢٩، رجال النجاشي: ٣٦٠/ ت ٩٦٦، الاحتجاج ٢: ٦، بحار الأنوار ٤٤: ١٠٠.
(٣) الفقيه ٤: ٤١٨/ ح ٥٩١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٩٢/ ١، بحار الأنوار ٤٣: ٧٩/ ٦٧، عن بصائر الدرجات: ١٦٢/ ٢، والكافي ١: ٢٣٨: ١.

قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك، قال: قلت: ومَن شركائي يا نبي الله؟. قال: الأئمّة من وُلدك.

وهذا النص وغيره يفهمنا بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد أن يحفظ شريعته، بالتدوين عند أهل بيته وغيرهم، لتبقى المدوَّنات ذخراً وتراثاً علميّاً لأجيال المسلمين على مرّ التاريخ.

وعليه فالإمام أمير المؤمنين فضلاً عن تدوينه: المصحف (المنزل) و(المفسَّر)، فقد كانت له كتبٌ كثيرة أُخرى: كالجفر والجامعة وكتاب علي، وقد حُكي عن معاوية قوله:

إنّي شهدت رسول الله أملى على علي بن أبي طالب كتاباً، وكان يتفقّد مقاطع الكلام كتفقّد المصرم صريمته[4].

ويضاف إليه: أنْ لا أحدَ من المسلمين لم يجرُؤ على ادّعاء حيازة علم الكتاب كلِّه سوى أمير المؤمنين عليه السلام، إذ

(٤) الصناعتين للعسكري: ٤٣٩، الفصل الثاني في ذكر المقاطع.

دعا عليه السلام[٥] النّاس لسؤاله عن كتاب الله، فكان عليه السلام يكرّر قوله -من أوّل تسلمه للخلافة إلى أوان شهادته -بأنّه مستعدّ للإجابة عَن جميع الأمور ومن القرآن الكريم على وجه الخصوص، خلافاً لمن سبقه من الخلفاء ـ كالذي كان يضرب هذا وذاك، لسؤاله عن بعض الأشياء، وقد ضرب صبيعاً وجعله وضيعاً بعد أن كان سيداً في قومه بدعوى تعمقه في السؤال عن متشابه القرآن[٦].

فقد جاء في (تاريخ دمشق) عن أبي الطفيل، قال: «سمعت عليّاً وهو يخطب النّاس فقال: يا أيّها النّاس، سلوني فإنّكم لا تجدون أحداً بعدي هو أعلم بما تسألون منّي، ولا تجدون أحداً أعلم بما بين اللوحين منّي، فسلوني»[٧].

وعن محمّد بن فضيل قال: «سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحد يقول على المنبر: سلوني عن ما بين اللوحين، إلّا عليّ بن أبي طالب»[٨].

وعن سليمان الأحمسي، عن أبيه، قال: «قال عليّ: واللهِ ما نزلت آية إلّا وقد علمتُ فيما نزلت، وأين أُنزلت، وعلى مَن نزلت... »[٩].

وعن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ صلوات الله عليهم، قال: «سلوني عن كتاب الله، فواللهِ ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولامسير ولا مقام، إلّا وقد أَقرآنيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وعلّمني تأويلها.

فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟.

(٥) بصائر الدرجات: ١٨٧/ ٢٢، باب ما عند الأئمّة عليهم السلام من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمامة والتبصرة: ٥٤/ ح ٣٨، الباب ٦.

(٦) انظر سنن الدارمي ١: ٦٦/ ١٤٤، وعنه في الإتقان ٢: ٩/ ٣٧٧٣.

(٧) تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٨، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٣٨، وانظر: شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ٩١، ١٩٦، عن الأعمش، والخبر مذكور أيضاً في أمالي الصدوق: ٤٢٣/ ح ٥٦٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٣/ ح ٣١٠، وأمالي الطوسي: ٥٢٣/ ح ١١٥٨.

(٨) تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٩، وعنه في شرح الأخبار ٢: ٣١١/ ح ٦٣٨، وشواهد التنزيل ١: ٥٠/ ح ٤٦، ٤٧.

(٩) طبقات ابن سعد ٢: ٣٣٨، حلية الأولياء ١: ٦٧، تاريخ الإسلام ٣: ٦٣٧.

قال: كان يحفظ عَلَيّ رسولُ الله ﷺ ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتّى أقْدِم عليه فيُقْرِئنيه ويقول لي: يا عليّ، أنزَلَ اللهُ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلّمني تنزيله وتأويله»[١٠].

نعم لقد علّم رسول الله ﷺ الإمام عليّاً عليه السلام شأن نزول الآيات، فِيمَ نزلت؟. وأين نزلت، وما جاء في تفسيرها وتأويلها؟. لأنّه خليفته، وكان يعرف خفايا الأمور وروح الأحكام، وهو ما أعطاء الله إياه، فكان الإمام يعلن استعداده في إعطاء ما عرفه من العلوم للنّاس، متى احتاجوا إليها.

كما كان في إرجاع رسول الله ﷺ النّاسَ إلى الإمام علي عليه السلام، له دلالة على ليّاقته وأفضليته على الآخرين، وأنّ القرآن على ارتباط بالعترة منذ عصر الرسول حتى يوم القيامة.

فالسؤال هنا هو: إذا كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بهذه المنزلة العلمية- وهو كذلك -فهل يُعقَل أن لايكون له مصحف مدوَّن، وهو الواقف على التنزيل والتأويل، والقائل بأنّه يعلم بنزول الآيات، أهي نزلت بليل أم بنهار، وفيم نَزَلَت ومتى نزلت؟. والمصرِّح بأنّه كتب كل آية أنزلها الله على محمّد بخطه مجرداً عن التفسير والتأويل مرةً، ومعه مرةً أخرى؟.

فإذا كان كذلك -وهوكذلك-فأين ذهب ماكتبه عليه السلام بخطه، هل فُقد؟. أم هو موجود عند أهل بيته؟. أو في المكتبات؟.

وإذا قلنا بوجوده في المكتبات في العالم، فهل يخالف هذا القول بوجوده عند أهل بيته وأنّ الإمام الحجّة سيأتي به عند ظهوره عليه السلام؟. أم أنّ هذا الكلام لا يخالفه إذ يمكن الجمع بينهما وذلك القول بوجود نسختين من المصحف عند الإمام؟. لكن هل رُتِّبا بشكل واحد أو بترتيبين؟.

بلى، قد خاطب الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠ هـ) العامة احتجاجاً عليهم

(١٠) أمالي الطوسي: ٥٢٣/ ح ١١٥٨، وانظر: كتاب سُليم: ٣٣١/ ح ٣١ عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين وفيه: يحفظ عليَّ ما غبتُ عنه...

بما لفظه: ورويتم أنّ إبطاء عليّ على أبي بكر البيعةَ على ما زعمتم لتأليف القرآن، فأين ذهب ما ألّفه عليّ بن أبي طالب حتّى صرتم تجمعونه من أفواه الرجال؟ ومن صحفٍ زعمتم كانت عند حفصة بنت عمر بن الخطاب[11]؟!.

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه الذين بقراءتهم يقرأ الناس، وبقدر اختلافهم اختلف الناس، قالوا: زيد بن ثابت، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ولم يُذكَر معهم، لأنّا شاهدنا الناس يقولون: هذا في قراءة عبد الله بن مسعود، وهكذا هو مصحف عبد الله، وهذا في قراءة أُبي، وهكذا هو في مصحف أُبي، وهذا في قراءة زيد، وهكذا هو في مصحف زيد، ولم نرهم يقولون: هذا في قراءة عليّ، وهكذا هو في مصحف عليّ[12]؟.

وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) معلِّقاً على جمع الخلفاء للقرآن:

كيف لم يطلبوا جمع عليّ بن أبي طالب؟!. أوَ ما كان أكتبَ من زيد بن ثابت؟. أو ما كان أعربَ من سعيد بن العاص؟!. أو ما كان أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الجماعة[13]؟!.

وقال الشيخ محمود أبو رية تحت عنوان (غريبةٌ توجِب الحَيرة):

من أغرب الأُمور وممّا يدعو إلى الحيرة، أنّهم لم يذكروا اسم عليٍّ عليه السلام في مَن عُهِد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكرٍ ولا في عهد عثمان!. ويذكرون غيره ممّن هم أقلُّ منه درجةً في العلم والفقه!. فهل كان عليٌّ لا يُحسن شيئاً من هذا الأمر؟. أو كان من غير الموثوق بهم؟. أو ممّن لايصحّ استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟.

اللّهمّ إنّ العقل والمنطق ليَقضيان بأن يكون عليٌّ أوّل من يُعْهَد إليه بهذا الأمر، وأعظم مَن يشارك فيه، وذلك بما أُتيح له من صفاتٍ ومزايا لم تتهيّأ

(١١) الإيضاح: ٢٢٢ بعض ما ورد عن النبيّ في أُبيّ وابن مسعود.
(١٢) العثمانية: ٩٣.
(١٣) مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ١: ١٣.

لغيره من بين الصحابة جميعاً؛ فقد ربّاه النبيّ ﷺ على عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كَنَفِه، وشهد الوحيَ مِن أوّل نزوله إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يَنِدَّ عنه آية من آياته!.

فإذا لم يُدْعَ إلى هذا الأمر الخطير، فإلى أيّ شيءٍ يُدعى؟!.

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوِّغوا بها تخطّيهم إيّاه في أمر خلافة أبي بكر فلَمْ يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأيّ شيءٍ يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟. فبماذا نعلّل ذلك؟. وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟. حقّاً إنّ الأمر لعجيب، وما علينا إلّا أن نقول كلمةً لا نملك غيرها، وهي: لك الله يا عليّ، ما أنصفوك في شيء[١٤]!.

إذن ليس لأحدٍ أن ينكر وجود مصحف للإمام، لأنّ كثرة الناقلين والمخبرين والراوين لخبر مصحف الإمام عليّ عليه السلام في الصحاح والسنن والمسانيد وفي أهم الكتب الحديثية والتاريخية واللغوية عند الفريقين على مرّ التاريخ ومن جميع أطياف الفريقين- محدِّثين كانوا أم مؤرّخين، لغويّين أم مفسّرين، فقهاء أم متكلّمين[١٥] -وفي القرون الأولى، لَتُوجِدُ في النفس اطمئناناً في صحّة ماقيل عن وجود مصحف للإمام عليه السلام بعد رسول الله ﷺ.

وكذا يؤيّده دعوى ابن النديم من مشاهدة ذلك المصحف عند أبي يعلى حمزة الحسني قد سقط منه أوراق يتوارثونه بنو حسن، أو عند آل جعفر[١٦].

ومشاهدة ابن معية الأسدي وابن حديد الأسدي وابن عنبة وغيرهم ذلك في المشهد العلوي أو بالمذار[١٧].

فأين ذهب ذلك المصحف، هل فقد؟. أم احترق؟. أم هو موجود كله أو ابعاضه في هذه المكتبة أو تلك؟.

نعم قد عثر في الجامع الكبير في صنعاء اليمن مصحف منسوب إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بصنعاء وقد طبع أخيراً من قبل منظمة

(١٤) أضواء على السنّة المحمّدية: ٢٤٩.

(١٥) وضّحنا كل ذلك في المجلد الاول من كتابنا (جمع القرآن) فراجع.

(١٦) فهرست ابن النديم: ٣٠.

(١٧) عمدة الطالب: ٢٠.

IRCICA منظمة التعاون الإسلامي، صورة منها تحت رقم ١ في آخر الكتاب، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء اليمن[١٨].

كما توجد نسخ من المصحف منسوبة للإمام في متاحف العالم كمتحف الآثار التركية والإسلامية في اسطانبول[١٩]، أو في متحف طوب قاپى سراي اسطانبول[٢٠]، أو في مشهد رأس الحسين بالقاهرة[٢١]، أو في الروضة الرضوية في

(١٨) تشتمل على سورة البقرة حتى آخر سورة الكهف في ١٥٠ ورقة، كل صفحة ٢٠ سطراً، فيها نقط الإعراب وفي بعض الصفحات نقط الإعجام، أيّد صحة انتسابها إلى الإمام علي في سنة ١٣١٨ ثمانية أشخاص من علماء اليمن منهم الحجري، صورة منها تحت رقم ٢ في آخر الكتاب.

(١٩) وهي نسخة كاملة تتكون من ٣٨٢ ورقة من البردي، مقاساتها ٢١ × ٣٠ سم، جلده بني اللون، وفي كل صفحة ١٦ سطراً، مكتوبة بالخطّ الكوفي بمداد أسود، يوجد في القسم الأدنى من الصفحة الأولى ختم وقفي للسلطان محمود الأول العثماني، وفي آخر النسخة ختم للسلطان بايزيد الثاني، وهناك قيد يفيد بأنّ كاتبه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢٠) في متحف طوب قاپى عدة نسخ منسوبة للإمام علي، أحدها مكتوب على الجلد وبالخطّ الكوفي من الآية ١٧٣ سورة البقرة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ وفي كل صفحة ١٤ سطراً، الفواصل بين السطور والكلمات منظمة ودقيقة، وهي تشبه إحدى النسخ المنسوبة إلى أمير المؤمنين في الخزانة الرضوية في مشهد الإمام الرضا/ إيران، النسخة معربة وعلى حواشي الصفحات يوجد تذهيب وهو جديد، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٣.

- ونسخة أخرى في كل صفحة ١٦ سطراً أمانة ٢ الورقة A 102، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٤.
- وهناك نسخة ثالثة بنفس المواصفات تحتوي على ١٤٧ ورقة، مقاساتها ٥/ ١٢ × ١٨ سم، في كل صفحة سبعة أسطر، في آخر النسخة وبعد الآية ٢١٢ من سورة البقرة مكتوب (كتبه علي بن أبي طالب)، وقد استعمل المداد الأخضر الداكن لرسم النقاط المستعملة للتفريق بين الحروف المتشابهة، بعض صفحات المصحف مُحيت ثمّ كتب عليها القرآن مجدداً، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٥.

(٢١) وأبعاد هذه النسخة ٩ × ١٤ وسمكه ١٧ سم، وعدد أوراقه ٥٠٨ في القطع البياضي، وأنّ في كل صفحة ١٤ سطراً، كُتب على الجلد، وهي فاقدة الإعجام، أمّا نقط الإعراب فهي موجودة في بعض صفحاته، وهي النسخة التي قال عنها الزرقاني في مناهل العرفان ١: ٢٧٩: «..وكذلك المصحف المحفوظ بتلك

مدينة مشهد/ إيران[٢٢]، أو في الخزانة

الخزانة ويقال أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كتبه بخطّه، يلاحظ فيه أنّه مكتوب بذلك الخطّ الكوفيّ القديم، بيد أنّه أصغر حجماً وخطّه أقلّ تجويفاً من سابقه [الذي هو بخطّ عثمان] ورسمه يوافق غير المدني والشامي من المصاحف العثمانية حيث رسمت فيه الكلمة السابقة (مَن يَرْتَدِدْ) بدال واحدة مع الإدغام وهي في غيرها كذلك، فمن الجائز أن يكون كاتبه علياً أو يكون قد أمر بكتابته في الكوفة». صورة منها تحت رقم ٦.

(٢٢) في المكتبة الرضوية عدة نسخة منسوبة لأمير المؤمنين غالبها مكتوبة على الجلد وبخط كوفي، منها نسخة تحتوي على نصف القرآن متفاوتة الخط ونوع الورق تحتوي على ١١٨ ورقة في كل ورقة ٢٤ سطراً مقاسها ٥/ ٣٤× ٢/ ٤٦ سم، ادعى البروفسور دروش حسبما قاله الأستاذ مرتضى كريمي نيا أنّها مكتوبة في أواسط القرن الثاني الهجري، خالية من نقط الإعجام، ونقط الإعراب لو شوهد فيها فهي متأخرة، وهي تشبه باختلاف في أسطر كتابتها نسخة متحف طوب قاپی/ تركيا، ونسخة دار المكتوبات بصنعاء/ اليمن، ونسخة جامعة توبينغن/ المانيا، ومكتبة جيستر بيتي/ ايرلندا، وقد وقف النسخة علي بن أبي القاسم المقربي السروي، ويوجد في آخر النسخة أختام لبعض سلاطين القاجارية تاريخ أحدها ١٢٦٧ هـ، والأخرى ٢٩ صفر ١٢٨٩ هـ وصورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٧.

- ونسخة أخرى في ١٠٢ ورقة، كل صفحة في سبعة أسطر، من أوّل القرآن إلى آخر آية ١٥١ سورة الأنعام، فيها نقط الإعراب دون الإعجام، وفي آخرها ما يشير إلى انتسابها إلى أمير المؤمنين علي، وعليها خطوط من تولوا على الخزانة من سنة ١٢١٩ إلى سنة ١٣١٩ هـ، صورة منها موجود في آخر الكتاب تحت رقم ٨.
- ونسخة ثالثة في خمسة أوراق كل ورقة في ثلاثة أسطر، مذهبة وفيها نقط الإعراب والإعجام، وفي ذيل تهذيب الصفحة الأولى عبارة باللغة الفارسية تعريبها: هذه خمسة وعشرون ورقة من كلام الله المجيد وقد لوحظت في يوم الأحد ١٦ ذي الحجة ١١١٥ وهي بخط علي بن أبي طالب. ثمّ ختمت بتوقيع (باقر العلوم)، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٩.
- ونسخة رابعة بالقطع البياضي في ٨٦ صفحة، كل صفحة ثمانية أسطر، وفي حاشية الصفحة الأخيرة من الأسفل الأعلى مكتوب بالخط الكوفي كتبه علي بن أبي طالب، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٠.
- ونسخة خامسة هي من سورة (هود) إلى آخر سورة الكهف، في ٦٩ صفحة، كل صفحة في ١٥ سطراً، النسخة معربة ومعجمة، مقاسها ٢/ ٣٢ × ٥/ ٢٣ سم، وفي آخر الصفحة كتبه علي بن أبي طالب، الواقف الشاه عباس الصفوي وقد أيّد صحة

العلوية في النجف[٢٣]، أو في مكتبة أمير المؤمنين للشيخ الأميني في النجف الأشرف[٢٤]، أو في غيرها من متاحف العالم[٢٥]. أيمكن أن تكون جميع تلك النسخ منسوبة للإمام أم بينها ما هو صحيح النسبة إليه؟.

وكيف يتطابق ذلك مع ما جاء في روايات أهل البيت بأنّ مصحف الإمام موجود عند الإمام الحجّة وأنّه سيظهره حينما يظهر[٢٦]. وقد أجبنا عن ذلك ببعض الشيء وأنّ الموجود عند الإمام الحجّة هو (المصحف الوقائعي) وما نتكلم عنه هو (قرآن التلاوة) فلا يمكن البت في صحّة انتساب تلك النسخ إلى الإمام وعدمه إلّا بعد قراءة المقدّمة التالية.

كثرة النسخ المنسوبة لماذا؟.

توجد ادّعاءات كثيرة في نسبة بعض

انتسابها إلى الإمام الشيخ البهائي في سنة ١٠٠٨، مصورة منها في آخر الكتاب تحت أرقام ١١ و ١٢.

(٢٣) توجد في الخزانة الغروية عدة نسخ منسوبة إلى أمير المؤمنين مكتوبة على الجلد وبالخطّ الكوفي وعليها نقط الإعراب، منها النسخة التي نحن بصدد التعريف بها مصورة منها برقم ١٣.

ومنها النسخة التي رآها الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في ذي الحجة سنة ١٣٥٣، أوّلها بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ وفي آخرها (كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٤.

(٢٤) عدد أوراقها ٣٠٩، قياسها ٥/ ١٨ × ٥/ ١٢، عدد الأسطر ٩، وفيه نقص من سورة الشعراء آية ٢٠١ إلى آية ١٠ من سورة النمل، ٢٧ آية من سورة الشعراء، ١٠ من سورة النمل كذلك نقص سورة الكافرون وسورة النصر في آخر المصحف، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٥. وقد انتقلت هذه النسخة في العهد البعثي إلى المتحف الوطني ببغداد.

(٢٥) منها النسخة الموجودة في مكتبة مولا آزاد جامعة عليكر اوترپرادش/ الهند، صورة منها تحت رقم ١٦.

والنسخة الموجودة في مكتبة القصر الملكي الشاهنشاهي (گلستان) طهران/ إيران، صورة منها موجودة في آخر الكتاب تحت رقم ١٧ و ١٨. أو الموجودة في المتحف الوطني الإيراني صور منها موجودة في آخر الكتاب تحت الأرقام ١٩، ٢٠ و ٢١، أو متحف رضا عباسي/ إيران تحت الرقم ٢٢، أو مكتبة الهند في لندن، صورة منها موجودة في آخر الكتاب تحت رقم ٢٣.

(٢٦) نحن وضحنا سابقاً بأنّ الإمام يظهر المصحف المفسر لا المجرد ولا تضاد بين الأمرين.

تلك النسخ القرآنية إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو إلى غيره من آل البيت والصحابة

منها لمضاها ة ما نُسب إلى الصحابة، وخصوصـــــاً إلى عثمان بن عفان من مصاحف.

أو: للارتـــــزاق به عند السلاطين والخلفاء ومحبّي الأئمّة والصحابة (علويين كانوا أم عثمانيين).

أو لعلل أخرى خفية أو معلنة.

ويتأكّد هذا المدّعى حينما تقف على تعدد النسخ المنسوبة إلى عثمان بن عفان والإمام عليّ بن أبي طالب في مكتبات العالم الغربي والاسلامي، فلا يعقل أن تصح نسبة كل هذه النسخ إلى شخص واحد؟.

فهل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو عثمان بن عفان أو غيرهم من الصحابة كانوا من الورّاقين حتّى تصحّ نسبة عشرة نسخ أو أكثر إليه عليه السلام أو إلى عثمان؟.

ولماذا نرى جميع تلك النسخ مستقيمة الخط لا انحناء فيها كأنّ كاتباً حِرَفِيّـــاً قد كتبها، في حين أنّ الكتابة كانت في طريقها إلى التطوّر آنذاك.

فلو أجريتَ مسحاً إجماليـــاً لهذه النسخ القرآنية المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي -علي وجه الخصوص -في تركيا والهند وايران والعراق لزاد هذا العدد على العدد المقترح بضعفين، ولاسيّما مع لحظ اختلاف الخط بين تلك النسخ، أو اختلاف الخط في أوراق النسخة الواحدة، بعضها كتب بخطٍ والأُخرى بخطٍ آخر، ووجود التشكيل وتنقيط الإعراب والزخرفة في بعضها -وهي متأخّرة عن الصدر الأوّل على نحو القطع واليقين- وعدم وجودها في اخر.

نعم إنّ عشاق آل البيت والصحابة هم كثر، والمستغلّون لعواطفهم هم كثر كذلك، وهم موجودون في جميع البلدان وهم يبحثون عن كل شئ يتعلق برسول الله والصحابة فهذا يبحث عن سيف ونعل ودرع وعصا لرسول الله أو لهذا الصحابي أو ذاك، ولهذا الرجل من أهل البيت أو ذاك، فمن جهة لايمكن قبول كل شيءٍ منسوب إليهم على نحو الادّعاء، وكذلك لا يمكن تكذيب -أو نفي -نسبة جميعها ادعاءً، فما الحل؟. وهذا ما سنقوله في آخر هذا المحور إن شاء الله.

من موارد التزوير:

إنّ ما عرفناه ونعرفه -في التاريخ- من طرق التمويه والدجل في تعتيق النسخ ونسبتها إلى هذا وذاك هو شيء كثير، وهو ما لا ننكره، وهذا يدعونا للتثبّت والحـــــذر من قبول كلّ شيء منسوب إلى هذا الصحابي أو ذاك من آل البيت، بل يلزمنا هذا أن نخطو بخطى وئيدة في القبول أو النفي، وأن لا نتسرّع في الأحكام نفياً أو إثباتاً.

فصحيح أن تعتيق النسخ ونسبة الخطوط إلى الأشخاص قديم بقدم التاريخ، لكنّ هذا لا يجيز لنا التساهل في حفظ تراثنا القديم، أو التشكيك في الوثائق الموجود في خزائننا بدعوى ورود هذا الاحتمال والخوف لان ذلك يدعونا إلى محقه، فقبول أحدهما هو أخطر من القبول بالثاني، وإليك الآن بعض النصوص التراثية ـ المخيفة ـ في التعتيق والجعل، اذكرها كي تقف على أهميّة هذا الموضوع، وضرورة التثبت في الوثائق والأسناد والخطوط والورق والحبر وعدم العجلة في البت في نتائج البحوث والتحقيقات.

- ففي (المنتظم) لابن الجوزي[٢٧]: إنّ اليهود قدّموا لأبي القاسم بن مسلمة وزير الخليفة القائم بالله العباسي كتاباً فيه أنّ رسول الله أسقط الجزية عن أهل خيبر، وأظهروا كتاباً فيه شهادة بعض الصحابة، وادّعوا أنّه بخط الإمام عليّ، فحُمل ذلك الكتاب سنة (ت ٤٤٧ هـ) إلى رئيس الرؤساء علي وزير القائم العباسي، فعرضه على الحافظ الخطيب البغدادي فتأمّله، ثم قال: هذا مزوَّر!.

فقيل له: فمن أين لك؟.

قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح و [إجلاء أهل] خيبر كان في سنة سبع.

وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، فاستحسن ذلك فيه.

- وفي (المنتظم) لابن الجوزي نص آخر يؤكّد: أنّ[٢٨]علي بن محمد، الأحدب المزوِّر: كان يكتب على خط كلّ أحد، حتّى لايشكّ الرجل المزوَّر

(٢٧) المنتظم ١٦: ١٢٩/ ٣٤٠٧.
(٢٨) المنتظم ١٤: ٢٨٦/ ٢٧٧٣.

على خطه أنّه خطه، وبُلي الناس منهم ببلوى عظيمة، ختم السلطان على يده مراراً، تُوفيّ في التاسع من رجب من هذه السنة ٣٧١ هجرية.

- وفي (تكملة) الطبري[٢٩] و (الكامل في التاريخ)[٣٠] وغيرها: أنّ ورّاقاً ذكيّاً محتالاً كان يسكن ببغداد أيام المقتدر العباسي يُعرَف بالدانيالي، يبلّ الأوراق ويعتق الكاغذ، ويكتب فيه بخطّه ما يشبه الخطّ العتيق، يرمز منه بحروف من أسماء أهل الدولة، ويشير إلى ما يعرف ميلَهم عليه من أحوال الرفعة والجاه كأنّها ملاحم، ويحصل على ما يريد منهم من الدنيا، وقد عمل حيلة لتوصيل الحسين بن القاسم إلى الوزارة بطلب من أبي القاسم بن الزنجي، وقد حدّث ابن الزنجي[٣١].

(٢٩) تكملة تاريخ الطبري: ٦٤.

(٣٠) الكامل في التاريخ ٧: ٦٧، حوادث سنة ٣١٩ هـ.

(٣١) تجارب الأمم ٥: ٢٩٥، خلافة المقتدر بالله، ذكر السبب في تقلد الحسين بن القاسم الوزارة.

وعليه فظاهرة اختلاق النسخ وتزويرها وتعتيقها لا يمكن إنكارها، وقد كانت متفشّية آنذاك، وقد زُوِّرت رسائل كثيرة -على مرّ التاريخ -على لسان هذا أو ذاك، وخُتمت بمهور لايعلم عنها صاحبها، منها الرسالة المختومة بختم عثمان إلى والي مصر والتي أدّت إلى مقتله[٣٢] وأمثاله، ونحن قد اكتفينا-في هذه الدراسة -بتقديم نموذجين واقعيين من التاريخ: أحدهما عن المسمّى بالدانيالي، والآخر عن المعروف بالأحدب، وهو غيض من فيض، وهو بنظرنا كاف لكي يدعونا للحيطة والحذر من القبول بكل شيءٍ منسوب إلى الأئمّة أو الأنبياء قولاً أو فعلاً أو تراثاً إلّا بعد الدراسة والتأنّي والتثبّت.

فكما أنّ الإثبات يحتاج إلى دليل كذلك النفي هو الآخر يحتاج إلى دليل أيضاً، فلا يجوز نفي شيء عن الله أو رسوله أو الوصي إلّا بدليل من الله

(٣٢) أنظر تاريخ الطبري ٢: ٦٦٦ حوادث سنة ٣٥، والكامل في التاريخ ٣: ٦٠.

ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٩].

وحتّى أنّ الرسول الأعظم كان لا يجيز تغيير كلامه أو نسبة شيء إليه ما لم يقله بل كان يلزم الآخرين عدم تكذيب قوله والأخذ بالهوى والرأي بل كان يدعوهم إلى الأخذ بما له أصل عندهم إذ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد[٣٣].

كما جاء عن الأئمة عليهم السلام قولهم: ما أحد أكذب على الله وعلى رسوله ممن كذّبنا أهل البيت أو كذب علينا لأنّه إذا كُذّبنا أو كُذّب علينا فقد كُذّب الله ورسوله لأنّا إنما نحدّث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله[٣٤].

وجاء عنه أيضاً: الناس سلكوا سبل شتّى منهم من أخذ بهواه ومنهم من أخذ برأيه وإنّكم أخذتم بما له أصل[٣٥].

(٣٣) صحيح البخاري ٢: ٩٥٩/ ٢٥٥٠.
(٣٤) قرب الإسناد: ٣٥٠، مستدرك الوسائل ٩: ٩١/ ح ١٠٣٠٩.
(٣٥) المحاسن: ١٥٦/ ٨٧، الكافي ٨: ١٤٦/ ح ١٢١.

وعليه فنحن لايمكننا القبول بصحة جميع تلك النسخ، كما لا يمكننا نفي جميعها بضرس قاطع، بدعوى وجود تنقيط الإعـــراب فيه وهو متأخر، أو وجود الزخرفة وأشياء حادثة فيه، وما شابه ذلك.

إذ لا خلاف في تأخّر تنقيط الإعراب وأنّه من وضع أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٧ هـ وقيل ٦٩ هـ)[٣٦] وإن كان روي في كتاب ابن أبي داوود عن هارون بن موسى أنّه قال: أوّل من نقّط المصاحف: يحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠ هـ)[٣٧]، وقال آخرون نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ)[٣٨] وعبد الرحمن بن هرمز(ت ١١٧)[٣٩] ويعنون به تنقيط الإعجام

(٣٦) نقط المصاحف للداني: ٣ و ٦، الإصابة ٣: ٥٦١/ ٤٣٣٣، صبح الاعشى ١: ٤٧٨.
(٣٧) نقط المصاحف للداني: ٥، تذكرة الحفاظ ١: ٧٥/ ٧٢، معرفة القراء الكبار ١: ٦٨/ ٢٤.
(٣٨) نقط المصاحف: ٦ و ٧، معرفة القراء الكبار ١: ٧١/ ٢٧.
(٣٩) معرفة القراء الكبار ١: ٧٧/ ٣٠، تهذيب الكمال ١٧: ٤٦٧.

وأنّه كان بعد تنقيط الإعراب.

وبنظري أنّ تنقيط الإعجام كان قبل تنقيط الإعراب إذ كيف يمكن أن تعرب الكلمة في حين لايعلم الحرف هل هو مهمل او معجم ولو كان معجما فهل النقطة هي في الأعلى أم في الأسفل (بشراً أو نشراً).

المهم أنّ القرن الهجري الأوّل قد انقضى وتنقيط المصاحف لم يزل محدود الاستعمال، وأنّ بعض الصحابة والتابعين كانوا يكرهونه، أمثال: ابن عمر (ت ٧٣ هـ)[٤٠] وابراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ)[٤١] والحسن البصري[٤٢] وابن سيرين[٤٣] (توفيا ١١٠ هـ) وقتادة (ت ١١٧ هـ)[٤٤]، وعليه فإنّ القول بوجود التنقيط لا يعني التشكيك في نسبة هذه النسخة أو تلك إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام أو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أو إلى الصحابي فلان بن فلان أو فلان بن فلان.

فقد يمكن أن يقال في الجواب: بأنّ النقطة الحمراء الإعرابية المضافة الى النسخة أو الزخرفة والتشكيل هي من وضع المتأخّرين وإضافاتهم حقاً، وانّها لم تكن في الأصل، لكنها لا تنافي أن تكون مع ذلك النسخة قديمة أيضاً، لأنّ الإضافات هي حديثة.

وكذا الحال بالنسبة إلى نقط الإعجام و «نقط الإعجام رغم أنّ النقوش العربية الجاهلية خالية من أي أثر له فإنّ بعض علماء السلف ذهبوا إلى أنّه قديم»[٤٥].

وقال صاحب (كشف الظنون) عن النقط والإعجام: إلّا أنّ الظاهر أنّهما موضوعان مع الحروف إذ يبعد أنّ الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصاحف[٤٦].

وقد أيد كلامي بعض الأفاضل وقال بوجود نقط الإعجام قبل نقط الإعراب مستدلا بما حكي عن الإمام علي وقوله:

(٤٠) نقط المصاحف: ١٠.
(٤١) الاتقان ٢: ٤٥٤/ ٦٢١٥، ٦٢١٨، نقط المصاحف: ١١.
(٤٢) نقط المصاحف: ١١.
(٤٣) احياء العلوم ١: ٢٧٧.
(٤٤) نقط المصاحف: ١٠.

(٤٥) رسم المصحف: ٤٦٨.
(٤٦) كشف الظنون ١: ٧١٢، صبح الأعشى ٣: ١٤٩.

أنا النقطة تحت باء بسم الله الرحمن الرحيم[٤٧].

كما يمكن أن تؤيّد هذه النظرية بما قاله الداني وغيره بأنّ «خلو المصاحف من النقط جاءت للفسحة ولكي تحتمل كلّ الوجوه»[٤٨].

ومعنـــاه وجودها قبل جمع عثمان الناس على مصحف واحد، وأن لجنة عثمان تركوا تنقيط الإعجام للفسحة ولكي تحتمل كلّ الوجوه.

وبذلك يكون تنقيط الإعجام هو الأقدم وضعاً، من تنقيط الإعراب خلافاً للمشهور على الالسن وفي الكتب وإذا صحّ مدعانا فهو يدعونا للتساؤل: كيف يمكن القبول بالتنقيط الإعرابي الأحمر المتأخر على النسخة مع عدم وجود الأسود المتقدم عليه، إلا أن نقول بوضعه لاحقاً على النسخة الغروية وهي لم تكن في نسخة الأصل.

ويضاف إليه أنّه ليس بالضرورة أن تكون هذه النسخة -التي بأيدينا -هي تلك النسخة التي كتبها الإمام بعينها، فقد تكون مكتوبة من على نسخته عليه السلام ولهذا نسبت إليه عليه السلام.

وقد تكون بعضها مكتوبة بخطه ثم أضيف إليها شيء آخر بخط غيره إكمالا لها في العصور المتأخرة ولهذا نُسبت جميعها إلى الإمام عليه السلام كما مر في كلام الامام الزيدي الهادي بن يحيى بن الحسين.

وقد يكون للإمـــام أمر بكتابتها فنسبت إليه وهناك علل أخر.

وبهذا فقد اتضح للمطالع الكريم بأنّ القرآن الكريم هو واحد عند الجميع وان له عدة مخطوطات قيّمة في العالم الإسلامـــــي والغربي، بعضها ناقصة وأخرى كاملة، وهي مكتوبة في أحجام متفاوتة وعلى أجناس وأصناف مختلفة، قال الدكتور غانم قدّوري الحمد:

وتوجـــــد الآن في مكتبات العالم مجموعة كبيرة من المصاحف القديمة، أو قطع منها، قد كتبت على الرق، وبالخطّ الكوفي القديم، مجردة من النقط والشكل ومن كثير مما ألحق بالمصاحف من أسماء

(٤٧) ينابيع المودة لذوي القربى ٢١٣: ١، نور البراهين ٤: ٢، الأنوار النعمانية ٤٠: ١.
(٤٨) المحكم في نقط المصاحف: ٣، ٢١، النشر ١: ٣٣.

السور وعدد آيها وغير ذلك بحيث تبدو أقرب إلى الصورة التي كانت عليها المصاحف الأولى[٤٩]. إلى أن يقول:

ومهما كان الرأي في تلك المصاحف فإنّها -دون شك- قديمة ترجع إلى القرون الهجرية الأولى، بل ربما إلى القرن الأوّل حصراً، ولا سيّما حين لا يظهر فيها أي أثر للاصلاحات التي أدخلت على الخطّ العربي في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري، إلّا بعض العلامات النادرة أحياناً، فهي بذلك أقرب إلى الحقبة التي يحتمل أن تكون المصاحف العثمانية موجودة فيها، وربما نسخت منها أو من مصحف نسخ من أحدها، وهي لذلك خير ما يمثل واقع الرسم الذي نسخت به المصاحف العثمانية.

(٤٩) أنظر جولدتسيهر: ٢٩٨، ومحمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن: ١١٩ -١٢٠، وناصر النقشبندي: المصاحف الكريمة في صدر الإسلام. مقال في مجلة سومر مج ١٢ سنة ١٩٥٦ ج ١ و ٢، ص ٣٥، ود. سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف القاهرة. دار المعارف ١٣٨٨ هـ ص ١٩٦ وما بعدها.

وتملك مكتبات التراث الإسلامي في مصر خير مجموعة من تلك المصاحف القديمة، كذلك يروى أنّ أحد تلك المصاحف القديمة[٥٠] كان موجوداً في الحرم النبوي في المدينة المنورة حتّى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٨ م) حيث نقله العثمانيون إلى الآستانة مع انسحابهم من أراضي الحجاز، ويقال انّه انتقل إلى ألمانيا[٥١].

ومنهـــا مصحف محفوظ الآن في مدينة طشقند في تركمنستان الإسلامية في روسيا، وقد قامت بنشره -في مطلع هذا القـــرن -جميعة الآثار القديمة الروسية، وطبعت منه خمسين نسخة[٥٢]،

(٥٠) Abbott، p. 57.

(٥١) انظر: محمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن ص ١٢٠ و M. Hamidullah، p. 430.

(٥٢) كان هذا المصحف في جامع خواجه عبيد الله الأحرار، ثم اشتراه حاكم تركمنستان ونقله إلى بطرسبورج فوضع في دار الكتب القيصرية، وسمي هناك المصحف السمرقندي، وأشيع أنّه المصحف الإمام الذي قتل عليه الخليفة عثمان بن عفان فكان الناس يزورونه في أيام معينة، ثم نشرته جميعة الآثار القديمة على يد المصور

ومع ذلك فإنّ الدراسات عن تلك المصاحف القديمة وعددها في مكتبات العالم لا تزال قليلة.

وقد تيسرت لي القراءة في بضعة مصاحف قديمة من تلك المحفوظة في دار الكتب المصرية، بعضها مشكول ومعجم...

ثم يعلق الاستاذ غانم في الهامش بقوله:

إن محاولة الاطلاع على المصاحف الكريمـــــــة المخطوطة والقديمة منها خاصة أمر في غاية الصعوبة وليس من اليسير التوفيق بين طموحات البحث في الحصول على المادة من تلك المصاحف وبين حرص القائمين بالمحافظة عليها بألّا تمسّها يد أحد حتّى ولو كانت يد باحث مسلم ليس بأقل حرصاً منهم عليها...

ثم يضيف الأستاذ في هامش آخر له بعد ذلك بالقول:

حصلت -إلى جانب ذلك -على ثماني لوحات -كل لوحة تحوي صفحتين- من مصحف قديم محفوظ في مشهد الإمام علي -عليه السلام- في النجف، ولكن يبدون أنّه يعود إلى فترة متأخرة عن تلك التي يرجع إليها مصحف طشقند ومصحف جامع عمرو، ومصحف النجف مكتوب على رق وبخط كوفي بمداد أسوَد، وفيه نقط الإعراب التي تنسب طريقة استعمالها لأبي الأسوَد الدؤلي بالحمرة، وعدد أوراقه (٣٠٩) وأبعاده (١٩ سم × ١٢. ٥ سم تقريباً). وفي الورقة الأخيرة منه كتب بخط مختلف عن خطّ المصحف الأصل أنّه بخطّ الإمام علي سنة ٤٠هـ.

والملاحظة الأخيرة يحتاج اثبات صحّتها إلى أدلة صحيحة صادقة،

الروسي (بساريكس) وطبعت منه خمسين نسخة، وبقي هذا المصحف في دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفي، وفي أوائل سنة ١٩١٨ م حمل في حفل عظيم تحت حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة هناك تسمّى (النظارة الدينية) وذلك إرضاء للمسلمين وكسباً لتعضيدهم، وبقي فيها خمس سنوات. وفي أواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركمنستان، وبقي في سمرقند فترة من الزمن، وهو الآن في طشقند (انظر د. عبد الفتاح شلبي: الإمالة ص ٢٠٥).

وليس بعيداً أن تكون الجملة المدخولة (انظر ابراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ٧١) ومع ذلك فإنّ المصحف في وضعه السابق يدلّ على أنّه يرجع إلى فترة متقدمة[٥٣].

وقد تساءل الزرقاني -قبل الاستاذ غانم -عن المصاحف العثمانية: أين هي؟. فقال: وليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها وقصارى ما علمناه أخيراً أنّ ابن الجزري رأى في زمانه مصحف أهل الشام ورأي في مصر مصحفاً أيضاً.

أمّا المصاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر ويقال عنها أنّها مصاحف عثمانية فإنّنا نشكّ كثيراً في صحة هذه النسبة إلى عثمان لأنّ بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور ولبيان أعشار القرآن، ومعلوم أنّ المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ومن النقط والشكل أيضاً كما علمت.

نعم إنّ المصحف المحفوظ في خزانة الآثار بالمسجد الحسيني والمنسوب إلى عثمان مكتوب بالخطّ الكوفي القديم مع تجويف حروفه وحجمه كبير جدّاً ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي حيث رسم فيه كلمة ((يَرْتَدد)) من سورة المائدة بدالين اثنين مع فك الإدغام وهي فيها بهذا الرسم، فأكثر الظن أنّ هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها.

وكذلك المصحف المحفوظ بتلك الخزانة، ويقال إنّ علي بن أبي طالب كتبه بخطّه، يلاحظ فيه أنّه مكتوب بذلك الخط الكوفي القديم، بيد أنّه أصغر حجماً، وخطّه أقل تجويفاً[٥٤].

بلى هناك نسخ أثرية نفيسة وقديمة- منسوبة للصحابة وأهل البيت -في مكتبات العالم، وهي تناهز ٦٥ نسخة نفيسة في العالم حسبما أعلم[٥٥] وأنّ

(٥٣) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: ١٩٠-١٩٤.

(٥٤) مناهل العرفان ١: ٢٧٩.

(٥٥) ادّعى الدكتور محمّد باقر حجّتي في تاريخ القرآن: ٤٩٠ بأنّ أكثر وأهم النسخ القرآنية النفيسة موجودة في

أكثر من عشرة نسخ منها منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والنسخة التي في الخزانة الغروية[٥٦] هي من النسخ القيمة المنسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين، وهي مكتوبة على الرق، كما أنّ أخواتها الموجودة في مكتبات العالم هي الأخرى غالبها مكتوبة على الجلد والبردي والرق.

إنّ محاولة الاطلاع على جميع المصاحف المنسوبة للإمام في تركيا وإيران واليمن ومصر والمقايسة بينها لم يكن بالشيء الهيّن بل هو في غاية الصعوبة، وإن كان ذلك هو أملنا ومبتغانا لكن تحققه في هذا الوقت القصير هو عسير.

وإنّا نرى فيما قام به بعض المستشرقين والشخصيات والمؤسسات والحكومات في البلدان الإسلامية -منذ أوائل القرن الماضي وحتّى اليوم -من طبع النسخ القرآنية والأناجيل القديمة طبق الأصل خطوة مفيدة في هذا المضمار، وهي تخدم الباحثين وتساعد المحققين في حقل الدراسات القرآنية والبالبوجرافيا في بحوثهم، وهي ظاهرة حضارية متميزة نأمل الارتقاء بها إلى مستوى أعلى.

١. قد كان أول من طبع القرآن طبق الأصل وبشكله التراثي هو دي. اس. رايس [D. S. Rice] الذي نشر مصحف ابن البواب المكتوب سنة ٣٩١ هجرية بخط النسخ، والمحفوظ أصله في مكتبة تشيستر بيتى (دبلن -إيرلندا)[٥٧].

٢. ثمّ تبعه المستشرق الروسي بيساريف [S. Pissaref] في عام ١٩٠٥ بنشر نسخة طبق الأصل لمصحف سمرقند (تشطقند)[٥٨]. تم طُبِعَ ٥٠

بريطانيا، وأنّه رأى ٧٠ نسخة نفيسة منها في مكتبة لندن العامة.

(٥٦) والتي الامانة العامة للعتبة العلوية بصدد طبعها ونشرها طبق الأصل (الفاكسيمل).

(٥٧) The Unique Ibn Al -Bawwab Manuscript: Complete Facsimile Edition of the Earliest Surviving NaskhiQu'ran، Chester Beatty Library، Dublin، Manuscript K. 16. Graz: Akademische، 1983.

(٥٨) Coran Coufique de Samarcand: écrit d'après la Tradition de la Propre Main du Troisième

نسخة منه، بيعت منها ٢٥ فقط. وتوجد نسخة مصورة منها في دار الكتب المصرية تحت عنوان (٢٠٤ مصحف). قدر طيار آلتي قولاج عدد أوراق هذا المصحف الأصلي بـ ٩٥٠ ورقة، إلّا أنّه تنقصه أوراق كثيرة حتّى اليوم، فالمتبقى منه هو ٣٥٣ ورقة فقط.

٣. وفي عام ١٩٩٨ نشر فرانسوا ديـــــــــروش[٥٩] [Francois Derocbe] وسرجيو نوسيد[٦٠] [Sergio Noseda] نسخة طبق الأصل لمصحف المكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe ٣٢٨ a) بعنوان: (المصاحف بالخطّ الحجازي: المجلد الأول، المخطوطة Arabe ٣٢٨ (a) من المكتبة الوطنية الفرنسية[٦١]. وهو المجلد الأول ضمن سلسلة «مصادر انتقال النصّ القرآني من المخطوطات»، ويبلغ عدد أوراق المصحف ٥٦ ورقة.

وفي عام ٢٠٠١ نشر أيضاً نسخة

Calife Osman (644 -656) qui se trouve dans la Bibliothèque ImpérialePublique de St. Petersbourg، 1905، St. Petersberg.

(٥٩) ولد عام ١٩٥٢، هو أستاذ التاريخ والكوديكولوجيا العربية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHE) في باريس. يعتبر ديروش من أشهر المعاصرين المتخصصين بدراسة المخطوطات القرآنية المبكرة، وله العديد من الإصدارات في هذا السياق كان آخرها كتابه الصادر عن بريل: (مصاحف الأمويين: نظرة أولية).

(٦٠) سرجيو نوسيدا (١٩٣١ -٢٠٠٨) كان أستاذاً للغة العربية وآدابها في جامعة القلب المقدس الكاثوليكية في ميلانوا، وكان قبلها أستاذاً للشريعة الإسلامية في جامعة تورينو. أنشأ في عام ١٩٩٩ مؤسسة فيرني نوسيدا وكان من أبرز إصدارتها (المصاحف بالخطّ الحجازي من باريس ولندن) التي نشرت عامي ١٩٩٨ و ٢٠٠١.

Sources de la transmission manuscrite du texte coranique. I. Les manuscrits de style hijazi. Volume I. Le manuscrit arabe 328a (a) de la Bibliothèque Nationale de France، 1998، FondazioneFerni Noja Noseda، Leda، and Bibliothèque Nationale de Paris.

(٦١)

طبق الأصل لمصحف المكتبة البريطانية (Or. ٢١٦٥) بعنوان: (المصاحف بالخط الحجازي: المجلد الثاني، المخطوطة Or. ٢١٦٥ فوليو ١ إلى ٦١، من المكتبة البريطانية[٦٢].

هو المجلد الثاني من السلسلة نفسها. وتبلغ مجموع أوراق هذا المصحف ١٢١ ورقة تمثل ٥٣٪ من النصّ القرآني[٦٣]، إلّا أنّ النسخة العينية تضمنت أوّل ٦١ ورقة منه فقط، وأما باقي أوراق المصحف فقد تقرر نشرها مستقبلاً.

٤. وفي عام ٢٠٠٤ قام المستعرب الروسي يفيم رضوان[٦٤] [Efim Rezvan] بنشر نسخة طبق الأصل من «مصحف عثمان» بعنوان: (مصحف عثمان: كاتا -لانجار، سانت بطرسبرج، بخاري، طشقند[٦٥]، وتحتوي هذه النسخة على ٤٠٪ من النصّ القرآني[٦٦].

(٦٢) Sources de la transmission manuscrite du texte coranique. I. Les manuscrits de style hijazi. Volume 2. Tome I. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library، 2001، FondazioneFerni Noja Noseda، Leda، and British Library: London.

(٦٣) Islamic -awareness. org، (2014). MS. Or. 2165 – A Qur'anic Manuscript From The 1st Century Hijra In The British Library. Retrieved 25 November 2014، from: http: // www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / ms2165. html

(٦٤) ولد في ١٩٥٧ م، نائب مدير متحف بطرسبرس الأكبر للأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا (كونستكاميرا)، الأكاديمية الروسية للعلوم، مدير تحرير المجلة الدولية للبحوث المخطوطية الاستشراقية (Mhanuscripta Orientalia) وأستاذ في الكلية الشرقية وكلية الفلسفة في جامعة ولاية ناست بطرسبرج. (ترجمته بتصرّف من صفحته على موقع: http: // www. kunstkamera. ru).

(٦٥) "The Qur'ān Of ʿUthmān" (St. Petersburg، Katt -Langar، Bukhara، Tashkent)، 2004، Volume I، St. Petersburg Centre For Oriental Studies: St. Petersburg (Russia).

(٦٦) Islamic -awareness. org،

٥. وفي عـــــام ٢٠٠٧ نشر الدكتور طيـــــار آلتي قولاج[٦٧] [Tayyar Altikulac] نسخة طبق الأصل للمصحـــــف المنسوب إلى عثمان بن عفـــــان في متحف طوب قابي سراي بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان، نسخة متحف طوب قابي سراي)، وهو مصحف شبه كامل تنقصه ورقتين فقط، يحتوي على أكثر من ٩٩٪ من النصّ القرآني[٦٨]. وفي نفس العام آلتي قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف المنســـــوب إلى عثمان بن عفان في متحف الآثـــــار التركية والإسلامية بعنـــــوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثـــــمان بن عفان: نسخة متحف الآثار التركية والإسلامية باستنبول)، وهو أيضاً مصحف شبه كامل تنقصه عدة أوراق.

٦. وفي عام ٢٠٠٩ نشر طيار آلتي قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف

(2014). The "Qur'an Of Uthman" At St. Petersburg (Russia)، KattaLangar، Bukhara، And Tashkent (Uzbekistan)، From 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014، from: http: // www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / peters. html

(٦٧) ولد عام ١٩٣٨ م، هو من المهتمّين في حقل الدراسات القرآنية وتحقيق المصاحف القديمة. عمل نائباً لرئيس الشؤون الدينية في الفترة من ١٩٧١ ـ ١٩٧٦، ثم مديراً عاماً للتعليم الديني بوزارة المعارف (١٩٧٦ -١٩٧٧)، ثم رئيساً للشؤون الدينية (١٩٧٨ -١٩٨٦)، وهو حالياً عضو في البرلمان التركي، حيث يرأس اللجنة البرلمانية للتعليم والثقافة. (انظر: مقدمة مصحف طوبقابي سراي، ص ٦، هامش رقم ٤).

Islamic -awareness. org، (٦٨) (2014). The "Qur'an Of Uthman" At The Topkapi Museum، Istanbul، Turkey، From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November2014. from: http: // www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / topkapi. html.

المنسوب إلى عثمان بن عفان في القاهرة بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان: نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة). يحتوي المصحف على أكثر من ٩٩٪ من النصّ القرآني[٦٩]، وتنقصه أربع ورقات فقط، وأُعيد كتابة ٩ من أوراقه بيد لاحقة.

٧. في عام ٢٠١١ نشر آلتي قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف المنسوب إلى علي بن أبي طالب في صنعاء بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب: نسخة صنعاء)، يحتوي هذا المصحف على ٨٦٪ من النصّ القرآني[٧٠].

٨. تسعى الأمانة العامة للعتبة العلوية جادة في طبع نسختها الفريدة الموجودة إسهاماً منها في هذا المضمار. طالبين منّي التعريف بها والكتابة بعض الشيء عن جمع القرآن وما يرتبط بالنسخ وتعتيقها والشبهات التي تدور حولها فكتبت هذا الذي هو بأيديكم.

ونسختها مكتوبة على الرق بالخطّ الكوفي، أوّله سورة الفاتحة وفيه نقص في منتصف سورة الكوثر وسورة الكافرون والنصر وعنوان سورة المسد، وقد كتبت فيها أسماء السور ونقط العلامات

(٦٩) Islamic -awareness. org، (2014). The "Qur'an Of Uthman" At The Al -Hussein Mosque، Cairo، Egypt، From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014، from: http: // www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / hussein. html

(٧٠) Islamic -awareness. org، (2014). The "Qur'an Of Ali b. AbiTalib" (The Sanaa Mushaf) From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014، from: http: // www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / alisanaa. html

منوهين بأنّا قد اعتمدنا في هذا الجرد على ما زودنا به الأستاذ مرتضى كريمي نيا من مقال للأستاذ أحمد وسام شاكر تحت عنوان (الإصدارات العينية للمخطوطات القرآنية القديمة) فشكراً له.

الإعرابية، وفواصل الآيات، بعضها بالمداد الأحمر، وبعضها بالمداد الأصفر الذهبي، أمّا متن القرآن الكريم فهو مكتوب بالمداد الأسود فبعضه غامق والآخر صار فاتحاً بمرور الأزمان، وقد تمّ إصلاح بعض الأوراق وإعادة كتابة صفحات هالكة منه، فبعضه يدل على قدمه والآخر على أنّه متأخّر، كما أنّ سمك الصفحات تختلف بعضها عن بعض، وقد كتبت في بعض حواشي المصحف أجزاء القرآن بالذهبي وعليه رسوم زخرفية، وكتب في الصفحة الأخيرة منه وبخطّ كوفي فاتح عبارة (كتبه علي بن أبو طالب في سنة أربعين من الهجرة). وفيها عدد غير متساوٍ من السطور، عدد صفحات المخطوط ٦١٢ صفحة، وهذا المصحف يحتوي على ما يقارب ٩٩ ٪ من النصّ القرآني.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ المستشرق موريتز [Moritz] نشر في كتابه، نماذج من خطوط مصاحف قديمة تحرزها دار الكتب فقط، وهي ترقى إلى القرون الخمسة الأولى للهجرة مكتوبة على أوراق البردي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، والباقي على الرق، أكثرها بخطوط كوفية، ومنها بخط قريب من النسخي وهي تؤكد ضرورة الاهتمام بنشر المصاحف القديمة كما هي، وعن طريق شبكة المعلوماتية كالانترنت والأقراص المدمجة وأمثال ذلك، لأنّ العصر عصر السرعة والمواصلات، والباحث لا يمكنه جمع جميع النسخ القرآنية ورقياً عنده، لأنّ ذلك يكلّفه مالياً ومكانياً.

كما أنّ كثرة وجود النسخ القديمة من القرآن الكريم بين يدي الباحثين لا سيّما المتماثلة في الشك والنصّ والمكتوبة في بلدان مختلفة تحدّ من شبهات المستشرقين الذين يدسّون السمّ في العسل ولا يريدون الحقيقة المجرّدة بل يوظفونها لغاياتهم التي لا تريد لنا خيراً.

نعم، إن طبع بعض المستشرقين النسخ القرآنية طبق الأصل لا يغفر ذنب الآخرين منهم الذين يريدون المساس بالإسلام وكتابه المقدس.

وصحيح أنّ الأثريين والمنقبين قد يأتون بنظريات جديدة في بحوثهم، لكن

هذا لا يمكن اعتماده في تفنيد الثوابت، لأنّ الأمر الثابت والمتواتر لا يمكن تفنيده بمفردة مأخوذة من هنا أو هناك، فذاك هو الرأي والهوى والاستحسان الذي اعتمده المستشر ق فلا يمكنه أن يقارع الدليل والحجة والتواتر.

فالكل يدّعي بأنّه وقف على أقدم نسخة من القرآن الكريم، فهذا يراه في طشقند تركمنستان/ روسيا، والآخر في جامعة توبينغن الألمانية، وثالث في الجامع الكبير بصنعاء/ اليمن، ورابع في المتحف الإسلامي في القدس الشريف، وخامس في جامع عمرو بن العاص/ مصر، وسادس في تركيا، وسابع في إيران، وثامن، وتاسع...

ففي عام ١٩٧٢م عثر عمال الصيانة عند ترميمهم لسقف المسجد الكبير بصنعاء على بقايا أوراق لمصاحف قرآنية قديمة تبلغ عددها ٤٠ ألف ورقة يعود عمر بعضها إلى القرن الأول الهجري.

وقد نشرت صحيفة الاتلانتك الأمريكية في عددها لينار عام ١٩٩٩ م مقالاً لتوبي لبستر بعنوان (ما القرآن) ذكر فيه وقوفه على اتصال هاتفي من عالم الماني يدعى جيرد بوين [Gerd puin] الخبير في دراسة المخطوطات القرآنية القديمة والذي أرسلته الحكومة الألمانية الاتحادية في ثمانينات القرن الماضي لمساعدة الحكومة اليمنية في ترميم وصيانة الآثار والمخطوطات اليمنية وذلك بطلب من القاضي اسماعيل الأكوع رئيس هيئة الآثار والمخطوطات سابقاً.

وقد ادعى بوين في اتصاله الهاتفي مع الصحفي توبي لبستر بأنّ النصّ القرآني قد تطور عبر الزمن ولم يكن نازلاً من السماء، وذلك لاختلاف بعض النصوص التي عثر عليها عن الأخرى، وقد تصدّى للردّ على كلام بوين الأستاذ فهمي هويدي في مقال له بعنوان (غارة أخرى على القرآن تطعن على تنزيله وصدقيته).

فادعاء بوين هو ادعاء فارغ يفتقر إلى الدليل العلمي، وهو مما دعا القاضي الأكوع أن يستاء من مقالته، وان بوين وزميله بوثمر أرادا أن يبعثا برسائل اطمئنان -أو قل تكذيب- إلى الأكوع

لتهدئة الموقف، فمما قاله بوين في رسالته للأكوع: المهم والحمد لله لا تختلف هذه المصاحف الصنعائية عن غيرها في متاحف العالم إلّا في تفاصيل لا تمسّ القرآن كنصّ مقروء وإنّما الاختلافات في الكتابة فقط.

ثمّ ألقى اللوم على الحكومة اليمنية التي لا تريد أن تذكر دوراً للألمان، في حين أن كلام بوين باطل من عدة جهات اولا، لأنّ الحكومة اليمنية كانت هي السباقة في التعريف بهذه النسخ للناس وللمجـــاميع العلمية، وقد عرضت بعض تلك اللوحات في مناسبات محلية ودولية وبالتعاون مع دار الآثار الكويتية عام ١٩٨٥ م، والذي صدر عنه كتاب (مصاحـــف صنعاء) وفيه مقالات للأكوع، وحصة بنت الصباح، وجيرد بوين، وغيرهم، فما يعني تجاهل بوين لدور الحكومة اليمنية آنذاك.

ومما يزيد في تأكيد عدم صحة ادعاء بوين –من إرادة السلطات اليمنية إخفاء المخطوطات –هو البحث الذي قام به الاستاذان بهنام صادقي [Behnam Sadeghi] من جامعة ستانفورد و محسن گودرزي [Mohsen Goudarzi] من جامعة هارفارد والذي أثبتا فيه بشهادات علماء ذهبوا إلى اليمن لرؤية وتصوير هذه المخطوطات، أنّ السلطات اليمنية كانت قد تعاونت معهم تعاوناً جيّداً، وقد سمحت لهم بتصوير المخطوطات من دون أدنى اعتراض.

ففـــــي عام ٢٠٠٧ م سمحت السلطات اليمنية للعالم الإيطالي نوسيدا وعالم الآثار كرستيان روبين بأخذ صور لطرس صنعاء المسوح [Sanaa Palimpsest].

ويقول روبين عن زملائه أنّهم منحوا قدراً للوصول للمخطوطات أكبر من بعض المكتبات الأُوربية. كلّ هذه الأقوال تخطئ مدعى جيرد بوين في عدم تعاون السلطات اليمنية.

اجل اني قد قرأت أخيراً مقالاً لوسام رامز قبلان بعنوان (التحقيق في مخطوطة القرآن الأقدم المكتشفة في ألمانيا) جاء فيه: (إنّ نتيجة الفحوصات الفيزيائية بواسطة عنصر الكاربون ١٤ التي أجريت على مخطوطة جامعة توبينغن الألمانية من

القرآن الكريم لتحديد عمرها أثبتت أنّها كتبت بنحو ٢٠ – ٤٠ عاماً بعد وفاة رسول الله) وهذا هو ادعاء لا يمكن البت بصحته أو خطئه وفق الفحوصات الفيزيائية فقط، بل عليهم اخذ امور اخرى بنظر الاعتبار أيضاً.

وقد زارني البروفسور ميخائيل ماركس ومعه الدكتور كريمي نيا وطرح عليَّ أحد مشاريعهم المهمّة في أكاديمية برلين وراندنبورع للعلوم وهي تأسيس مشروع الذخائر القرآنية إذ يرمون في مشروعهم إلى أقامة منظومة رقمية علمية تتمّ فيها دراسة القرآن الكريم من خلال البحث في ثلاث محاور: أحدها جمع صور من المخطوطات القديمة ودراستها من حيث منشأها وشكل الحرف المستخدم ولاعجام والتنقيط وغيره. كما أنّ من محاورهم هو دراسة النسخة فيزيائياً لتحديد عمرها.

وقد دار الحديث بيننا حول بعض مدعيات المستشرقين وأنّ ما يقولونه ليس بحقيقة مطلقة حيث يمكن مناقشتها إذ وضّحتُ له عدم صحة ما يقوله بعضهم وحتّى إنّي ناقشته في ما أراني من نصوص على الحاسوب وأنّه ليس بثابت، إذ يمكن نقضه والحدس بخلافه، وقد أتيت ببعض الأدلة النقضية وقد أوعدني بأن يكتب عن لقائه بي في مجلة ألمانية.

فالأستاذ ماركس كان قد حاضر في مركز البحوث الإسلامية التابعة للروضة الرضوية عن أثر عنصر الكاربون ١٤ واستمع له كثيرٌ من الباحثين، فهو يدّعي بأنّ النسخة القرآنية الموجودة في معهده هي من أقدم النسخ القرآنية في العالم، فقلت له: إنّ ادّعائك ليس بصحيح إذ أقصى ما يمكن أن يدلّ عليه الفحص الفيزيائي هو تقدير عمر النسخة، وأنّها بين سنة ٢٥ – ٤٠ هـ، وهذا لا يعني عدم وجود نسخة أقدم منها في العالم، إذ أنّك لم تطّلع على جميع نسخ القرآن في العالم، كما لا يمكنك إثبات كون المكتوب كان في ذلك التاريخ الذي حدّده الفحص، إذ يمكن أن يكون المكتوب قد كُتِبَ بعد قرنٍ وأكثر من عمره.

وعليه، فنحن لا نجازف كالآخرين بالقول بأنّ نسخة الخزانة الغروية هي

من أقدم وأنفس النسخ القرآنية او ان عمرها يعود الى سنة كذا وكذا أو أنّ كاتبها هو الإمام علي لاغير، لكننا نقول بكلام ملخصه أنّها نسخة تراثية قديمة وجديرة بالطبع، وهذه النسخة هي شبه نسخة كاملة وهي أكبر من نسخة جامعة توبينغن على وجه القطع واليقين.

لأنّ مخطوطة جامعة توبينغن لا تتجاوز صفحاتها عن ١٥٤ صفحة وقد كتبت بالخط الكوفي وبثلاثة ألوان: البني والأحمر والأسود، وأنّ التشكيل الأحمر لو شوهد فيه فهو مما أضيف إليه في العصور المتأخرة وحين الترميم[٧١] ونسختنا الغروية هي في ٦١٢ صفحة، مع ايماننا بوجود التشابه بين النسختين في كثير من الأحيان.

فنتساءل قائلين: ما يعني اهتمام المعاهد اليسوعية بالمخطوطات القرآنية في أيام الحرب العالمية على وجه الخصوص؟. وما هو السر في ذلك؟. بل لماذا كذّب أندرو هيغنز[٧٢] الخبر الذي أشاعه أنطون سبيتالر من حرق ارشيف صور المخطوطات القرآنية الموجودة في المعهد اليسوعي التابع لكلية البافارية؟. والذي كان يحتوي على ٤٥٠ لفة فيلم أثناء قيام القوات الجوّية بحملاتها، فمما قاله أندرو هيغنز:

إنّ النازيين دفعوا بكل خبراء العربية القديمة من اليهود وغيرهم من الآريين في المجهود الحربي مما أدّى إلى تحوّل العلماء المتخصصين في الشرق الأوسط إلى ضبّاط مخابرات ومحققين ومترجمين...

ثمّ أضاف قائلاً: خلال القرن التاسع، ابتدع الألمان ثقافة جديدة تعني بالنصوص القديمة، ولقد أدّى هذا إلى ثورة في فهم الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى... ثمّ نقل عن السيدة أنجليكا نوويرث (استاذة التاريخ في جامعة البرلين المفتوحة والتي تتلمذت على يد السيد سبيتالر والمقربة منه) قولها:

(٧١) من مقال لوسام رامز قبلان (التحقيق في مخطوطة القرآن الأقدم المكتشفة في ألمانيا).

(٧٢) ترجم مقاله الأستاذ عبد الحق بوقلقول تحت عنوان (دراسات المانية حول القرآن).

ظلت لفات الفيلم تلك في علب سجائر وصوان بلاستيكية إلى جانب علبة كعك قديمة، ولكنّه حالياً محفوظ في مكان أمن ببرلين، حيث سوف تشكّل صور هذه المخطوطات قاعدة بيانات.

تعتقد السيـــدة نوويرث والفريق العامل معها أنّها ستساعد على كشف جوانب كثيرة مـــن تاريخ النصوص الإسلامية.

والنتيجة كما يقول السيد مايكل ماركس -مدير المشروع البحثي- ستكون الخروج بأوّل «دراسة نقدية» للنصّ القرآني، واكتشاف التداخلات بينه وبين النصوص الأخرى في التوارة وغيرها من الكتب المقدسة في الأدبين المسيحي واليهودي[٧٣].

ان نقل امثال هكذا نصوص تؤكد أنّ هدف بعض المستشرقين -ولا سيّما رجال الدين منهم- لم يكن حفظ التراث فقط بل هو المساس بالنصّ القرآني وقدسيته، لكـــن تحت غطاء البحث والتنقيب في المخطوطات ومساعدة المسلمين في التعرف على مخطوطاتهم وتراثهم، والسعي معهم لحفظه وضبطه، وهو ملحوظ في أقوال بوتن ودعواه عن الصحف القرآنية التي شاهدها في مسجد صنعاء باليمن.

نعم، قد تأثّر بعض الباحثين المسلمين العلمانيين المعاصرين في الدول الإسلامية باقوال علماء الغرب ونظرياتهم وجعلوها أصولاً صحيحة في التحقيق لا يمكن مخالفتها، ساعين إلى معرفة التراث الإسلامي من خلال ما قننه علماء الغرب في معرفة الآثار وتطور الكتابة والخط وكيفية التعرّف على الحبر والورق وأمثال ذلك، لكن جهودهم لم تَحْظَ بالقبول من جميع المسلمين، وإن تأثّر به بعضهم.

وبالتالي فإنّ الفحص الكيمياوي والمختبري للمخطوطات والوقوف على كيفية تطور الخط والكتابة من السرياني والحجازي والكوفي وما شابه ذلك لا ننكره وهو صحيح إلى حدّ ما وله أثر في التعرف إلى الحقيقة، لكنّه ليس منتهى المآل.

(٧٣) دراسات ألمانية حول القرآن، لأندرو هيغنز.

كما يجب أن لا نتغاضى ولا ننسى أيضاً بأنّ الأوروبيين في القرون الوسطى كانوا يسعون لاستغلال الموروث الثقافي عند المسلمين تحت غطاء حفظ التراث وبذريعة العلم والتحقيق.

ولأواصل ما قاله هيغنز في مقاله للتعرف على سر اهتمامهم بالقرآن:

لقد بدأ الأوروبيون دراسة القرآن في القرون الوسطى، وكان الهدف الأبرز وقتذاك هو محاولة الفحص، وبحلول القرن التاسع عشر، بدأت الأبحاث تأخذ طابعاً علمياً عبر دراسات أكثر جدية للنصوص القديمة، وفي هذا المجال كان الألمان سبّاقين. وكان التركيز الأساس على التوراة. ولقد حاول القساوسة والحاخامات منع ذلك، إلّا أنّ العلماء ضغطوا وأصروا إصراراً تحدَّوا النظرة التقليدية للعهدين: القديم والجديد، وهذا ما أدّى إلى تقويض الإيمان بحرفية الكتاب المقدس، وأسهم اليوم في ولادة العلمانية إسهاماً كبيراً في أوروبا، ولقد أدار هؤلاء-مع مرور الوقت -اهتماماتهم صوب القرآن.

في العام ١٨٥٧، عرضت أكاديمية باريس جائزة لأحسن «تاريخ نقدي» للقرآن، ولقد فاز بها الألماني ثيودور نولدكه، وهذه الخطوة أصبحت فيما بعد، حجر الزاوية في الأبحاث الغربية المستقبلية، حتّى أن نوويرث تصف هذا الأخير بقوله: «إنّه حجر كنيستنا».

بدأ أرشيف ميونيخ على يد أحد مقربي نولدكه، الذي كان اسمه غوتهلف بيرغستراسر، وبما أنّ ألمانيا كانت قد انزلقت انزلاقاً مبكراً نحو الحكم الفاشي في بدايات القرن الماضي، فقد قام هذا الأخير بتجميع النسخ القديمة من القرآن من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث يقول: إنّه صور تلك النسخ بوساطة آلة تصوير من نوع Leica...

وبعده تولى العمل مستعرب ألماني آخر، هو أوتو بريتزل، الذي استعمل أيضاً آلة تصوير من ذات النوع، ففي عام ١٩٣٤ وخلال زيارة له إلى المغرب، تمكن من زيارة مكتبة ملكية هناك، كانت تحوي نسخة قديمة من القرآن... إلى أن يقول:

كان السيد بريتزل جامع المخطوطات، يعمل على ما يبدو، لحساب المخابرات العسكرية... ثمّ تحولت المسؤوليّة عن الأرشيف بعد هذا إلى إشراف السيد سبيتالر، الذي أسهم في جمع بعض الصور الأخرى، حيث كان يعمل خلال حقبة الحرب في مكتب القيادة الألمانية...

ثمّ يختم هيغنز مقاله بالقول: في منتصف السبعينات، كانت حياة السيد سبيتالر المهنية في ميونيخ، تقترب من نهايتها، حيث كان على وشك التقاعد، فبدأ حينها بتحريك تلك الصناديق ووضعها في غرفة مجاورة للتي كان يجري فيها مشروع قاموس أكاديمية العلوم البافارية.

وهنا تتذكر طالبة الدكتوراه في ذلك الوقت، كاترين مولر، كيف أنّها لمحت تلك الصناديق وشاهدت فيها أفلاماً قديمة، إلّا أنّها حينما سألت سبيتالر عن فحواها، لم تحصل منه على أيّ جواب، لتدرك الآن أنّ الأمر كان يتعلق بالمخطوطات القديمة للمصحف.

أمّا في أوائل الثمانينات، وفي وقت ما يزال الاعتقاد فيه سائداً بأنّ الأرشيف مفقود، سافر عالمان ألمانيان إلى اليمن[٧٤]، بقصد الفحص والمساعدة على إعادة ترتيب مخطوطات قديمة هناك، ولقد استغل الرجلان الفرصة، وقاما أيضاً بالتقاط بعض الصور، إلّا أنّهما حينما كانا يحاولان إخراجها من اليمن، منعتهم السلطات اليمنية من ذلك. ويروي السيد غيرد روديغر -الذي كان أحدهما- كيف تمكّن بعض الدبلوماسيين الألمان هناك أخيراً من إقناع اليمنيين بالإفراج عن بعضها. يقول السيد بوين: إنّ المخطوطات التي عُرضت عليه توحي له بأن «القرآن لم ينزل من السماء».... ثم يضيف هيغنز بالقول:

ولم يفهم أحد سبب إصرار سبيتالر على إبقاء الأمر لغزاً، فكلّ ما كتبه حول الموضوع، كان هامشاً صغيراً في مقالة نشرها خلال العام ١٩٧٥ حول القرآن

(٧٤) وكلام هينغنز يؤكد ما نقلناه قبل قليل عن بوين وأنّه كان وراء التشكيك في القرآن الكريم، وأنّ دعوى تكذيبه نقل الصحفي توبي لبستر هو كذب.

ادعى فيها ضياع الأرشيف وقت الحرب، إلى جانب قوله: «لقد غيرت أوضاع عالم ما بعد ١٩٤٥ الظروف، ولم يعد من الممكن الاستمرار في المشروع».

فالسؤال: ما هو هدف المستشرقين الغربيين الاهتمام بجمع المخطوطات القرآنية وفي أيام الحرب العالمية على وجه الخصوص أو قبلها بقليل.

وما يعني إثارة بعضهم بعض الشبه الواهية وادعاءهم الوقوف على صحف كانت مكتوبة فيها آي من القرآن الحكيم غير المتداول بين ايدينا اليوم ثمّ محيت تلك الكتابات وكتب عليها شيء يطابق الموجود، ثم ظهور الكتابات القديمة الأولى تارة أخرى من تحت الكتابة الحديثة، وفيها قراءة متروكة وشاذة لأحد الصحابة لا يقرأ بها المسلون اليوم؟. فما يعني طرح هكذا أقوال من باحثين في الآثار لا علماء في الدين؟.

وقد سألت الأستاذ ميخائيل ماركس حين زيارته لي عن عمله وهل هو عالم دين، أعني أنّه حاخام أو قس، أم أنّه باحث في التراث، فقال لست بعالم دين بل باحث في التراث، فسألته هل من واجبك هو البحث عن القراءات القرآنية أم التعرف على عمر النسخة والحبر وما شاكل ذلك؟. فقال: هو الثاني.

فقلت: فما يعني قولك بأنّ الموجود تحت هذه النسخة من القراءات الشاذّة والمتروكة، وأنّك قد شاهدتها وهل هذا يرتبط بمجال التراث أم بمجال الدين.

باعتقادي أنّ بعض هؤلاء الباحثين قد استغلوا تخصصهم التراثي للمساس بأعظم كتاب على وجه الأرض الا وهو القرآن الكريم، لكن وحدة النص القرآني، وكثرة نسخه في جميع البلاد، وبخطوط مختلفة، وعند جهات عديدة وعلى مـــر القرون، فندت أطروحاتهم الخائبة للمساس بالقرآن الكريم.

إنّ بحوثاً رخيصة وتشكيكات واهية من هذا أو ذاك لا يخدش بعظمة القرآن وأصالته، كما أنّ توقفنا وعدم بتنا بكون هذه النسخة أو غيرها هي نسخة الإمام أمير المؤمنين أو لا، لا يخدش في قيمة المخطوطة التراثية الموجودة عند هذه الجهة أو تلك او في هذا البلد او ذاك.

ومن كلّ ما تقدم عرفنا أهمية العمل التراثي وضرورة لزوم الحذر ممن يعتقون النسخ قديماً أمثال الدانيالي وممن يثيرون الشبه حديثاً كبعض المستشرقين والباحثين التراثيين الموجودين هنا وهناك.

المهم هو: أنّنا نعتزّ بهذا المصحف الشريف الموجود في الخزانة الغروية، ونتبرك به، لكونه أولاً هو كلام الله المجيد، وثانياً لانتسابه إلى أمير المؤمنين علي، وثالثاً لأنّه نص تراثي قديم يؤكّد وحدة النص القرآني عبر اجيال متعاقبة، وهو ليس باقل من التبرك بالشبّاك الفضيّ لضريحه الطاهر والأبواب والجدران والستائر لحرمه الشريف.

فنحن نقدّس هذا المصحف ونحترمه لأنّه يحوي نصّ القرآن الكريم، مؤكّدين للجميع بأنّ المصاحف الموجودة بأيدينا، والمنسوبة إلى ائمتنا، والمحفوظة في خزائن مشاهدهم المشرفة وفي بلدان متعددة ومختلفة لا تختلف عن المصحف الموجود بأيدي المسلمين اليوم ترتيباً ومحتوًى، ولأجل كلّ ذلك اهتمّت الأمانة العامة للعتبة العلوية المطهرة في طبعه وإخراجه كما هو طبقاً للأصل (فاكسيميل) كي تدلل على وحدة النصّ القرآني عند جميع المسلمين، وعبر جميع القرون، اذن القرآن هو قرآن جميع المسلمين لا قرآن طائفة خاصة بعينها.